# (٣)
# البحث عن مَخْرَج
# زحفن حافيات إلى «المقام المقدس» ويطلبن الأغلال
# مار جورجيوس أو الخضر الأخضر
# وكيف يجمّع المسلمين والمسيحيين معاً؟

**القدس**: أسامة العيسة السبت ١٩ / ٥ / ٢٠٠٧م–٣ / ٥ / ١٤٢٨هـ

يعمل الفلسطينيون يدفعهم التحدى، على إحياء أعياد وطقوس ومناسبات شعبية، كاد الاحتلال يطمسها وإلى الأبد.

وفى الأسبوع الأول من الشهر الحالى، اجتمع مسلمون ومسيحيون حول ما يسمونه مارجورجيوس أو الخضر الأخضر، وأقاموا احتفالهم المشترك. كل هذا يبدو عادياً، لكن المثير فى هذا العيد هى شخصية القديس أو الولى الذى يبدو أن الالتباس حوله هو أكبر من أن يفسّر أو يُفهم، ومع ذلك فهو يجمع الفلسطينيين فى مناسبة غريبة طقوسُها.

يسعى الفلسطينيون، لإعادة الاعتبار لاحتفال شعبى دينى تقليدى هو عيد القديس جورجيوس، والمعروف شعبيا باسم "الخضر الأخضر"، رغم المصاعب التى تحول دون ذلك. ويُعرف هذا القديس أو الولى بصورته الشائعة، وهو على حصان يقتل التنين بحربة طويلة، وينقذ فتاة حسناء.

صادف العيد يومى ٥ و٦ مايو (أيار) من كل عام، ذكرى مقتل جورجيوس على يد الرومان. وقد حالت ظروف الحصار على بلدة الخضر، جنوب القدس، التى توجد فيها كنيسة باسم القديس جورجيوس خلال السنوات الماضية دون

إحياء هذا الاحتفال، الذى تجدد منذ عامين.

وأقامت إسرائيل إحدى أكبر المدن الاستيطانية على أراضى بلدة الخضر، وأحاطتها بشوارع التفافية لضمان مرورٍ آمنٍ للمستوطنين إلى القدس، كما سيطرت خلال انتفاضة الأقصى على التلال المحيطة بها ووضعت عليها نقاطاً عسكرية. وتحولت البلدة حينها إلى ما يشبه ساحة حرب، وتصدر اسمُها، فى مراتٍ كثيرة، نشرات الأخبار بسبب سقوط أعداد متزايدة، من الفلسطينيين، معظمهم من القاصرين برصاص جنود الاحتلال، فى حين شهدت الحواجز العسكرية المحيطة بالقرية حالات ولادة لنساء فلسطينيات ، لم يُسمَح لهن بالوصول إلى المستشفيات، من بينهن واحدة على الأقل قضت على الحاجز أثناء الوضع.

ويشارك فى الاحتفال بذكرى الخضر الأخضر، مسلمون ومسيحيون، وفاء لنذور كانوا قطعوها سابقا من أجل هذا الولى، وتُذبح الخراف، وتسير كثير من النساء الفلسطينيات حافيات من المدن والبلدات القريبة إلى مقام القديس الشعبى الذى يحظى باهتمام واسع فى فلسطين ودول عربية أخرى. وتحتفل بالعيد الطوائف المسيحية التى تسير حسب التقويم الشرقى، وأقيم قداسٌ احتفالى كبير، هذه السنة، بمشاركة كهنة ورجال دين ومواطنين عاديين. وتولّى شبانٌ من نشطاء الطوائف المسيحية تنظيم الاحتفالات، فى تقليد معمول به منذ سنوات طويلة، ووقف هؤلاء الذين ينحدرون من الريف المحيط بالمقام، ولديهم اعتزاز كبير بهويتهم العربية يحرصون على إظهاره، محاولين إضفاء طابع شعبى مميز على العيد، ، وإعادة بعض ألَقه الغابر. وجرت طقوسٌ للتعميد، وتم إشعال الشموع، بينما وقف كثير من النساء ، وبينهن عدد من صغيرات السن بخشوع أمام صور الخضر الأخضر، يبثونه شكواهن، ليساعدهن فى حمل بعض همومهن.

ويحظى الخضر الأخضر أيضا باهتمام سياسيين ورجال أعمال ومثقفات يساريات، يجدون فى المقام فسحة للتصالح مع النفس. ووراء زجاج إحدى الأيقونات تظهر صورٌ وضعها أصحابُها تبركا، من بينها صور لشخصيات عامة ، من المسلمين والمسيحيين، لم يجدوا أفضل من "سيدنا الخضر" كى يطلبوا منه

توفيقا ليحافظ على مناصبهم.

وتسمع في المكان صيحات (يا خضر.. اخضر) أو (يا.. سيدنا الخضر)، وانتشر تجار صغار على امتداد الشارع الضيق المؤدى إلى الكنيسة، يبيعون طبلات صغيرة ومنوعة للأطفال، بالإضافة إلى الفول السوداني، وألعاب ومصنوعات من خشب الزيتون.

ولكن كل هذا لا يعيد للعيد مجده السابق، كما تقول حنان أحمد (٣٨ عاما) وتضيف: "في السابق كنا نأتي منذ الصباح، ونحضر طعامنا معنا، ونمضي يوما كاملا هنا، ولكن الأمر الآن مختلف". ويقول إلياس السرياني، وهو مسيحي مكنًّى باسم (أبو عمر) تعبيرا عن اعتزازه واحترامه للإسلام، ومواطنيه المسلمين: "الخضر الأخضر هو القديس الشعبي في فلسطين، وذكراه، مثل مناسبات أخرى، يحييها مسلمون ومسيحيون، في تقليد مشترك لا أحد يعرف متى بدأ، وربما تكون لهذه الأعيد، التي عادة ما تأتي في الربيع احتفاء به، جذور تعود إلى ما قبل الأديان التوحيدية".

ولا يُمضِي زوار المقام في عيدهم وقتا طويلا، وتكاد تقتصر طقوسُهم على إشعال الشموع، وتمرير سلاسل في رقابهم وأيديهم، في محاكاة لمعاناة القديس جورجيوس، ويفضل الكثير منهم العودة إلى منازلهم سيرا على الأقدام كما جاؤوا خصوصا النساء.

ويزور الديرَ مسلمون ومسيحيون على مدار العام، لتقديم نذور ويوجد في الدير محراب مسجد؛ دلالة على أن جزءاً منه، استخدم من قِبَل المسلمين الذين يشكلون جميع سكان بلدة الخضر، باستثناء رجل دين يوناني، هو المشرف على الدير، والذي يستقبل يوميا مقدمي النذور لقديسهم المحبوب، حيث يعتبر احترام الأولياء من السمات المؤثرة في الوعي الجَمْعِيّ الفلسطيني، مهما كانت ديانة أو هوية الأولياء.

وقال المشرف على الدير، عن حقيقة هذا القديس أو الولي الذي يكتسب كل هذه الأهمية لدى الفلسطينيين: "مار جورجيوس قديس فلسطيني ولد سنة

٢٧٥ ميلادية، في فترة الحكم الروماني، في مدينة اللد، وطلب منه الملك الروماني تغيير دينه، خصوصا وأنه كان جنديا في الجيش الروماني، ولكنه رفض معتزا بمسيحيته ، وتم تعذيبه نتيجة لموقفه، وعرفه الناس بإيمانه القوى وعجائبه.

وعن صورة مار جورجيوس الشهيرة والمحببة لدى العامة، وهو يقتل التنين وينقذ فتاة جميلة، والتي تعلق في البيوت أو تنقش على حجارة وتثبت على البنايات، قال المشرف على الدير: "الحادثة وقعت في قرية سورية على الحدود التركية، حيث كان لكل بلد أو مدينة ملك، وكان في هذه القرية نبع مياه يشربون منه ، ويخرج في الموقع تنين يلتهم الشبان والشابات، واتفق الملك مع وجهاء القرية أن يقدم كل واحد منهم ابنه والملك ابنته بالدور للتنين ؛ لاتقاء شره وتحييد خطره، كي يستطيعوا الوصول للمياه. وعندما جاء الدور على بنت الملك، وكانت جميلة، ذهبت إلى الموقع بثياب العروس، ولكن مار جورجيوس جاء فورا على حصانه ورآها تبكي، فسألها عن سبب بكائها دون أن تعرف هويته. وعندما عرف قصتها طمأنها، وفور ظهور التنين قتله وأنقذ الأميرة" .

وتضفى هذه القصة صفات على القديس الشعبي، تجعل حضوره أكثر تأثيرا في الوعي الجمعي، ويشير المشرف على الدير، أنه بعد قتل مار جورجيوس ، دفنت جثته في مدينة اللد الفلسطينية، بدون الرأس وقبره موجود هناك حتى الآن.

وحول علاقة مار جورجيوس بالخضر، لا يرى المشرف على الدير أية علاقة، مشيرا إلى أن هناك خلطا لدى الناس، لأنه عندما سأل عن ذلك وجد أن الخضر ، المذكور في الديانة الإسلامية ، عاش قبل المسيح، بينما مار جورجيوس ولد بعد المسيح ومعروف تاريخ ومكان ميلاده.

وهو يرحب بالجميع من مسلمين ومسيحيين، يأتون للصلاة ويوقدون الشموع، وينذرون النذور التي تتفاوت من تقديم الخرفان ، والأموال والمكانس وأدوات التنظيف للدير ، أو الزيت ، وغير ذلك من أطعمة أو تبرعات عينية.

وعن سبب وجود الكنيسة والدير في بلدة الخضر، يقول المشرف على الدير ، بأن أحد رجال الدين فكر ببناء كنيسة لمار جورجيوس في بيت لحم، وفيها التقى



Obeikandi.com

برجل مسلم عرف غايته، فأخبره الأخير بأنه يعرف مكان منزل والدة مار جورجيوس، وقاده إلى بلدة الخضر ، حيث وجد آثارا تدل على ذلك. واشترى رجل الدين الأرض ، وبنى الكنيسة، ولكن الكنيسة الحديثة بنيت عام ١٩١٢م، ويعتقد المشرف عليها بأن الكنيسة القديمة لا يقل عمرها عن ٣٥٠ عاما، وتوجد أيقونات تعود لعام ١٧١٣ وأخرى لعام ١٨٣٨، ويعتقد بأن والدة مار جورجيوس سكنت فى هذا المكان بعد خروجها من اللد، وتم بناء كنيسة فى المكان فى العصر البيزنطى.

وكانت بلدة الخضر طوال قرون، محطةً لطريق القوافل بين مدينة عسقلان على البحر الأبيض المتوسط ومدينة القدس، ويوجد فيها مبنى قديم متداع يطلق عليه (البوبرية) يعتقد أنه استعمل كمنزل ، أو خان تستريح فيه القوافل. ورغم التغييرات التى طرأت على المكان، الذى عرف غزاة وفاتحين ، ورحالة ومستشرقين ، وباحثين وحجاجا، فإن الفلسطينيات، وفى كل عام، يسرن حافيات إلى المقام المقدس، حاملات فى داخلهن أمنياتهن وأحلامهن بالحرية والانعتاق لا تعرف حدودا، رغم القيود والجدران التى تقترب أكثر فأكثر من مقام الولى المحبوب.

● **انتهى المقال ، أو التحقيق..**

ولم تكن غايتى من إثباته هنا محرد ذكر ما فيه عن المزار وصاحبه، أو صاحبيه.

إنما التركيز هنا على أمرين : أولهما الصورة المنشورة على رأس المقال ، والتى تبين اللواتى أتين زاحفات ليضعن السلاسل فى أعناقهن مدفوعات بتأثيرات عاطفية ، أو حوائجية ، وربما اعتقادية ..

والثانى ما جاء فى نهاية التحققات: من زائرات المقام أو المزار يأتين حافيات سائرات على الأقدام، ويرجعن كذلك، من أجل رفع حوائجهن، إلى صاحب المزار، أو فى حضرة مزاره ..

**والسؤال الآن:** ما دلالات الأمرين اللذين ذكرتهما على ما تريده النساء لأنفسهن؟

أهو اليأس من أن يحقق الواقع الحاضر الأمانى ، فكان لابد من اللجوء إلى الغائبين؟؟!!